

## المحاضرة الثانية

أيها السادة

بيننا في المحاضرة السالفة : أن ابن أبي ربيعة لم يكن صادق الحب ، ولا متين الصباية . وأنه كان هتماً كاللحرائر ، فتأكا بالأوانس . ساعده على ذلك شبابه الرائع ، وجماله الفاتن ، وثروة طائلة : كان من شأنها أن يتسع وقته لمداعبة الغيد ، وملاعبة الحور .

وما كان بما أن نطيل القول في ذلك ، لولا ما نعرفه وثؤمن به من أنه لا يصح الحكم على شعر شاعر ، أو نثر ناثر ، إلا بعد الوقوف على دقائق قلبه ، وخطرات فؤاده . وقد علمنا مما سلف مبلغ ابن أبي ربيعة من الحب ، ونصيبه من الصباية ، ولم يبق إلا أن نذكر ما يجب أن يكون لشعره من ميزة ، ولأسلوبه من طابع ، وفقاً لحالته النفسية ، وميوله الشخصية ، وأن نبين أثر تلونه في حبه ، وتلاعبه في عشقه ، وكيف كان ذلك داعياً إلى أن يكون لشعره صفة تميزه عن غيره ، وتفضله عما عداه .

غير أنني لم أشأ أن أكشف الغطاء عن ذلك ، وأميط اللثام

عنه ، إلا بعد أن آيين لكم كيف فهمه الناس من قبلنا وكيف كان حكمهم على شعره وتقديرهم لأدبه ، فإني إذا فعلت ذلك فبينت بُعدكم من الصواب ، وانحرافهم عن الجادة ، كنت جديراً بأن أقول : انى عملت عملاً جديداً ، وأحدثت أثراً جميلاً ، وابتدعت بدعة حسنة ، وسلكت في فهم ابن أبي ربيعة سبيلاً لم يسلكه الناس من قبل . نعم . وكنت جديراً بأن أخطئ من يقول : لاجديد تحت الشمس . وأن أكون نصيراً للداعين إلى الجديد تنمياً للقديم

أعمل ذلك وأسعى إليه ، وأنا أحترم أدب الأسلاف وفكرهم ، مع اعتقادي أن كل شيء في الكون قابل للتهذيب ، مفتقر إلى التكميل وأن السبعين صحيفة التي كتبها صاحب الأغاني عن ابن أبي ربيعة لم تكن لتفهمنا حقيقته ، وتعرفنا شخصه . إذ كانت موضوعة على غير نظام مبنية على غير أساس ، وأن بنوتنا لأسلافنا وتبعيتنا لهم لا يحولان بيننا وبين تكميل ما لم يكملوه ، وتهذيب ما لم يهذبوه ، فان للولد - وان يكن سراً أبيه - قلباً يفقه به ، وعيناً يبصر بها ، غير قلب أبيه وعينه ، وليس للوالد مهما عظم أمره ، وجل قدره ، أن يضطر ابنه إلى الحكم على الأشياء كما يحكم هو عليها . كما لا ينبغي

( ٦١ )

للولد مهما أخلص في بنوته ، وصدق في بره ، أن يعقَّ الطبيعة  
فيما أهدته من نظر ومنحته من تدبير

\*  
\* \*

أيها السادة :

علمت أن ابن عباس سمع شعر ابن أبي ربيعة واستحسنته ،  
وأن قائلاً قال له : الله الله يا ابن عباس فانا نضرب اليك أكباد الإبل  
من أقصى البلاد نسألك عن الدين فتعرض ، ويأتيك غلام من قريش  
فيُنشدك سفها فتسمعه ؟ فقال تالله ما سمعت سفها فعلمت من ذلك  
أن ابن أبي ربيعة شاعرٌ مُستجاد الشعر ، غير أن الشعراء كثير :  
فمن هو من بينهم ؟ وما سبيله التي سلكها ؟ وما هو الإبداع  
الذي عرف به ؟

وبلغنى أن الفرزدق سمع شيئاً من تشبيب ابن أبي ربيعة فقال :  
هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فلخطأته وبكت الديار ، ووقع هذا عليه .  
فلم أفهم من هذا شيئاً ، ولم أدر ما الذي يدل عليه اسم الإشارة في قوله :  
هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته ؟

وبلغنى أيضاً أنه كان بالكوفة رجل من الفقهاء يجتمع الناس إليه

فيتذاكرون العلم ، وأنه ذكر يوماً شعر ابن أبي ربيعة في مجلسه فهجته فقالوا له : بمن ترضى حكماً - ومرّ بهم حماد الراوية - فقال قدرت هذا . فقالوا لحامد : ما تقول فيمن يزعم أن عمر ابن أبي ربيعة لم يحسن شيئاً ؟ فقال أين هذا ؟ اذهبوا بنا إليه . قالوا نصنع به ماذا ؟ فقال : ننزو على أمه لعلها تأتي بمن هو أمثل من عمر !! فعلمت أن ابن أبي ربيعة شاعر اختلف الناس في تقديره ، وأن بعض أعدائه اعتمدوا في النيل منه على الفحش والسباب

وسمعت أيضاً أن العرب كانت تُقرُّ لقريش بالتقدم عليها في كل شيء إلا الشعر : فإنها كانت لا تُقرُّ لها به ، حتى كان عمر ابن أبي ربيعة ، فأقرت لها الشعراء بالشعر أيضاً ولم تنازعها شيئاً ، فلم أفهم من هذا أيضاً إلا أنه شاعر مجيد ، رفع من شأن قومه ، وأكمل مجد آبائه . وربما سمعت من طريق آخر أنه محب ، فأقول ومن هو في المحبين ، فإن الحب درجات ؟ أو ناسب متغزل ، فأقول : ومن هو في المشبيين فإن للنسب مذاهب ؟



وكذلك ما زلت أسمع من أخبار ابن أبي ربيعة ، وأقرأ من وصف

الناس له ، ما يبعدني عن فهمه ، والحكم على شعره ، حتى رأيت حديثا مسهبا لبعض العلماء المتقدمين فيما ابتكره ابن ابي ربيعة من نادر المعاني وابتدعه من جديد الاغراض ، حديث علمي ، أراد به كاتبه — عفا الله عنه — أن يعلم الناس كيف يعترفون في فهم الأدب ، ويضلون في تقدير الشعراء : حديث طويل يبدو أنه كسر اب ببيعة يحسبه الظمان ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا : حديث خادع ، ظن صاحب الاغاني أنه يكرم الأدب بذكره ، ويمتدح الأدياء بنقله ، فلم يغفل منه كلمة ، ولم يغادر منه حرفاً .

وقد رأيت أن أنقل لكم ذلك الحديث وأناقشه ، حتى تعلموا أي ضرر يعود على قارئ تلك الكتب ، إن لم يكن من أهل الحكم ، وممن يميز الخبيث من الطيب ، وحتى تعرفوا خطأ أولئك الذين يدرسون الأدب في بيوتهم ، وبعد الفراغ من أعمالهم ، ظناً منهم أنه علم كماله بسيط ، يكفي في فهمه ودركه أن يكون للمرء مكتبة يرجع إليها ويروض الفكر فيها ، ثم يبيحون لأنفسهم بعد ذلك أن يؤلفوا في الأدب ، وأن ينقدوا الكتاب والشعراء !!

نعم وحتى يعلم الناس جميعاً أن لا حياة للأدب ، ولا بقاء للغة ، إن لم تنظر في حياة غيرنا الأدبية ، فنعرف الفرق بين أدبنا وأدبهم ، وكيف

نبهوا بعد خمولهم ، ونشطوا بعد فتورهم . وما هي السبل التي أوصلتهم إلى ما وصلوا إليه ، حتى نصل نحن كذلك ، فانا لا نريد أن ننفخر بأجدادنا ونحن دونهم ، ولا أن نعيش في ظاهم كما عاش أبوانا في ظاهم ، بل نريد أن تكون لنا ثروة أدبية ، وراث فكرى ، وأن نحيا في أنفسنا ، وبأنفسنا ، حياة طيبة خالدة . يتغنى بها الأبناء والاحفاد .  
نقل صاحب الأناني — وهو يترجم ابن أبي ربيعة — عن الزبير

ابن بكار عن عمه مصعب انه قال :

« راق عمر بن أبي ربيعة الناس وفاق نظراءه وبرعهم = بسهولة الشعر ، وشدة الأسر<sup>(١)</sup> . وحسن الوصف . ودقة المعنى وصواب المصدر ، والقصد للحاجة ، واستنطاق الربع ، وانطاق القلب ، وحسن العزاء ، ومخاطبة النساء ، وعفة المقال ، وقلة الانتقال ، وإثبات الحجج ، وترجيح الشك في موضع اليقين . وطلاوة الاعتذار ، وفتح الغزل ، ونهج العليل ، وعطف المساءة على العذال ، وأحسن التفجع ، وبخّل المنازل ، واختصر الخبر ، وصدق الصفاء . إن قدح أورى ، وإن اعتذر أبرأ ، وإن تشكى أشجى . وأقدم عن خبرة ، ولم يعتذر بغيرة

(١) الأسر بسكون السين : الحلق ، قال تعالى « نحن خلقناهم وشددنا أسرهم » ويراد بشدة الأسر في وصف الشعر إحكام النسج ومثانة التركيب

وأسر النوم ، وغمّ الطير ، وأغذّ السير ، وحيرّ ماء الشياب ، وسهل  
وقول ، وقاس الهوى فأرّبي ، وعصى وأخلى ، وحالف بسبعه وطرّفه وأبرم  
نعت الرسل . وحدّر ، وأعلن الحب وأسرده ، وبطن به وأظهره . وألحّ  
وأسفّ ، وأتبع النوم ، وجنى الحديث وضرب ظهره لبطنه ، وأذل  
صعبه ، وقنع بالرجاء من الوفاء ، وأعلن قائله ، واستبكي عاذله ، ونفض  
النوم ، وأغلق رهن منى وأهدر قتلاه . وكان بعد هذا كله فصيحاً  
فهل رأيتم أغمض من هذا الكلام ، وأقل وضوحاً منه ؟  
وهل يحسن أن يجيب المرء بمثل هذا إذا سئل عن شعر ابن أبي ربيعة ؟  
اللهم إنك تعلم انى لا أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وانى  
لقيت عنتاً فى فهم هذا الحديث المهم الغامض ، وانى أخشى أن يتورط  
فيه من يشق عليه فهمه ، ويصعب عليه دركه ، فان المؤلف نفسه قد  
شعر بغموضه ، وأحس بابهامه : فأطال فى شرحه بالمثال

ولنفرض أن هذا كلام واضحٌ بين ، فمن ذا الذى يستطيع أن  
يحمل ذاكرته ستاً وأربعين صفة لشاعر واحد ؟ وما كانت تكون  
الطامة لو ألفنا هذا النحو من الفهم فى تقدير كتابنا وشرائنا  
وحكائنا ؟ أكانت تتسع اللغة لهذه الألقاب العديدة ، والمصطلحات

الكثيرة ؛ أم كان يتسع وقتنا لدراسة الفنون على هذا النحو في اختلاف أنواعها ، وتباين أشكالها ؛ هيهات هيهات ! ولشد ما تورط السخائب في الخطأ ، وأمعن في الضلال !



ولكن فلنتركنا في جانبنا ، ولنعد إلى النظر في تلك الكلمة ، ولنفهمها فهما يخول لنا الحكم عليها ، حكما صارما لا يرد أليس معنى كلامه قبل كل شيء ان ابن أبي ربيعة انفراد بتلك الصفات كلها لم يشاركه فيها مشارك ، ولم يزاوجه عليها من احدهم ، وإلا فكيف بهربها الناس ، وفاق من أجلها النظراء ؟ لا بد أن يكون غرضه ذلك وإلا كان خاطئاً في حكمه ، واهما في فهمه — نعم يجب أن لا يريد من تلك الصفات إلا أنها من خواص ابن أبي ربيعة فان ذلك هو موضوع الحديث ، وما سأل من أجله القلم . وإذا فانتظر أصدق أم كان من الكاذبين ؟

وإني ألاحظ أولاً أيها السادة : أن ذلك المؤلف لم يدرس شعر ابن أبي ربيعة دراسة تمكنه من الحكم الصحيح وتجعله قادراً على وضع الكلام في موضعه ، وأن يكون الشاهد وفقاً

لما يزعمه ، وطبقاً لما يدعيه : فقد رأينا أن يمثل لدقة معناه و صواب  
مصدره بقوله :

عوجاً نُحَى الطَّلُّ المَحُولَا      والرَّبْعَ من أسماءِ والمَنْزِلَا<sup>(١)</sup>  
بجانب البوابة لم يعدهُ      تقادم العهد بأن يؤهلا<sup>(٢)</sup>

وليس هذا بالكلام الرائع ذى المعنى الدقيق ، وإنما هو شعر كان  
من أمره فى التعقيد أن اختلف الناس فى فهمه وتأويله : فقال إسحق  
ابن ابراهيم : يعنى أنه لم يؤهل فيعدوه تقادم العهد . وهو فهم سقيم ،  
فإن المنزل الذى لم يؤهل حتى لا يخشى عليه تقادم العهد ، ليس أهلاً  
للتحية ، ولا لتذراف الدموع . وقال بعض المدنين : يحییہ بأن يؤهل  
أى يدعو له بذلك ، وهو أنسب ، وكان أولى لو مثل الكاتب لدقة المعنى  
وصواب المصدر بقوله

أشارت بمدراها وقالت لأختها      أهذا المغيرى الذى كان يُذكر<sup>(٣)</sup>  
لئن كان إياهُ لقد حال بعدنا      عن العهد والانسان قد يتغيرُ  
قال ابو الحارث جُمَيِّز : امرأته طالق ان كانت أشارت اليه بمدراها

(١) الطلل الحون والحيد هو الذى أتت عليه أحوال فطمست معانيه وأخفت رسومه

(٢) البوابة الفلاة واسم لصحراء بأرض تهامة (٣) اندرى والندرة : حديدة

الا لتفقاً بها عينه ، هلاً أشارت اليه بمقتضى مُطرف بخردك ، أو  
سنبوسجة<sup>(١)</sup> مغموسة في الخلل أو لوزينجة<sup>(٢)</sup> شربة بلدهن ، فإن  
ذلك انفع له ، واطيب لنفسه ، وادل على مودة صاحبه .

ونحن بالرغم من نقد هذا الاكول الشره - نرى ابن أبي ربيعة  
أبصر بمواقع الكلم : فانه هنا لا يتحدث عن فتوته وشبابه ، حتى يصف  
هدايا النساء له ، واقبالهن عليه . وإنما يذكر ما قاله من حسنه الايام ،  
وهددت من قواه الليلي . ألا ترونه يقول بعد ذلك :

فمالت نعم لاشك غير لونه سُرى الليل يُحبي نصه والتهجّر<sup>(٣)</sup>  
رأت رجلاً أما اذا الشمس عارضت

فيضحى وأما بالعشى فيخصرُ

قايلاً على ظهر المطية ظله سوى مانق عنه الرداء المحبّرُ  
أخاسفر جوارب ارض تقاذفت به فلوات فهو أشمئ أغبر  
وهذا ولا شك أدق معنى وأصوب مصدراً مما ذكره صاحبنا  
من قبل في بيان رأيه ، وتأيد مذهبه .

(١) السنبوسج : ما يحشى بقطع اللحم والجوز ونحوه من الورق المنعجون بالنسج أو الشيرج

(٢) اللوزينج : نوع من الحلواء يشبه القطائف يؤدم بالجوز (٣) نص السرى :

اسراعه - والتهجّر : السير في الهاجرة وهي شدة الحر

ثم مثل لصدقه الصفاء بقوله :

كل وصلٍ أمسى لديك لأنى غيرها وصاها اليها أداء

كل أنى وان دنت لوصالٍ أو نأت فهى للرباب الفداء

وعندى ان هذا الشعر يدل على الكذب اكثر مما ينمُّ على الصدق،

وما قيمة الصدق في حبه ، والحب في قلبه ، وهو يعرف غيرها ويصل

سواها ؟ ولو انه نظر نظرة عميقة في شعر ابن ابى ربيعة لاهتدى الى

المثال الواضح والشاهد البين في الدلالة على صدقه في الحب ، وثباته في

الغرام . واليكم احسن ما قال ابن ابى ربيعة في هذا المعنى ، وقد وقف

في بعض المناسك فاقبل النساء جماعات جماعات كأسراب الحمام ، وكنَّ

بالحج عابثات ، وفي النسك لاعبات :

من اللاء لم يحججن يبعين حسبةً ولكن ليقتلن البريء المغفلا

فأخذ الرجال يرشقونهن بالنظرات ، ويصاونهن بالأمانى فيطيعون

الهوى ويمصون الله ، ويجيبون داعى الحسن ويعقون داعى النسك :

كل ذلك وابن ابى ربيعة عفيف الطرف والقلب ، لا خشيةً من الله ، أو

إجلالاً للنسك ، ولكن طاعةً للهوى ، ونزولاً عند حكم الصباية ،

احتفاظاً بود من هوى ، ورعيًا لعهد من يجب . وفي ذلك يقول :

يقولون انى لستُ أصدُقك الهوى وأنى لأرعاك حين اغيبُ

فما بال طرفي عفا عما تساقطتُ لهُ أعينٌ من معشرٍ وقلوبُ  
 عشيةَ لا يستنكف القوم ان يروا سفاه امرىء ممن يقال لبيبُ  
 ولا فتنَةً من ناسكٍ أو مضت لهُ بعين الصبا كسلى القيام لعوب<sup>(١)</sup>  
 ترَوِّحَ يرجو أن تُحطَّ ذنوبهُ فأب وقد زيدت عليه ذنوبُ  
 وما للنسك أسلاني ولكن للهوى على العين منى والنوادر رقيب<sup>(٢)</sup>  
 ومثل حسن عزائه بقوله

أألحقُ إن دار الرباب تباعدتُ أو انبت حبلٌ أن قلبك طائرٌ ؟  
 أفق قد أفاق العاشقون وفارقوا الهوى واستمرت بالرجال المرائر<sup>(٣)</sup>  
 زع النفس واستبق الحياء فانما تباعد أو تُدنى الرباب المقادر<sup>(٤)</sup>  
 أميت حبها واجعل قديم وصلها وعشرتها كمثل من لا تعاشر  
 وهبها كشيء لم يكن أو كنازح  
 به الدارُ أو من غيبته المقابر

(١) أو مضت له : سارقه النظر (٢) يلاحظ القارىء رفع اسم « لكن » وقد ظن بعضهم أن هذا تحريف ، غير أنه يجب أن نقرر أن مثل هذه المخالفة لقواعد العربية تكثر في الشعر الذي سبق وضع القواعد والحرص على مراعاتها ، ولولا ضيق المقام لذكرنا شواهد ذلك من الشعر القديم ومن القرآن

(٣) استمرت بهم المرائر : قويت عزائمهم فأقلعوا عن غوايتهم

(٤) زع النفس : أزجرها عن الهوى

وكالناس عُلِّت الرِّياب فلا تكن

أحاديث من يبدو ومن هو حاضر (١)

وليس في هذا الشعر شيء من حسن العزاء ، إنما هو تناس لمن يهوى ، وتغاضٍ عمَّن يحب ، فكيف يُحسب من الحسنات أو يعدُّ من المبتدعات ؟

ولعل خيراً منه في معناه ، وأدل منه على الصبابة ، قول شبيب

ابن البرصاء

ألم تر أن الحَيَّ فرق بينهم نوَّى يوم صحراء الغمِّم لجوج (٢)

نوَّى شطنتهم عن نوانا وهيجت لنا حزناً أن الخطوب تهيج (٣)

فلم تذرف العينان حتى تحمَّلت مع الصبح أحفاض لهم وحدوج (٤)

وحتى رأيت الحَيَّ تُذرى عراصهم

يمانية تُذرى الرِّغام دروج (٥)

(١) من يبدو ومن هو حاضر : يريد من يقيم في البدو والحضر

(٢) الغمِّم كأمير واديين الحرمين على مرحلتين من مكة (٣) شطنتهم : أبعدهم والنوى الثانية هي القرب (٤) الأحفاض جمع حفص بالتحريك وهو متاع البيت إذا هيء للحمل والبعير الذي يحمله — والحُدوج جمع حُدج بالكسر وهو الحمل ومركب للنساء كالحففة (٥) العراص جمع عرصة بفتح العين وهي البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء — والرغام : تراب لين أو رمل مختلط بتراب

(٧٢)

فأصبح مسرور<sup>١</sup> ببيتك معجب<sup>٢</sup> وبالك له عند الديار نشيج<sup>١</sup>  
فإن تك هند جنة حيل دونها فقد يعرف اليأس الفتي فيعيج<sup>٢</sup>

\* \* \*

والأحظ أيضاً أيها السادة أنه كرر بعض الصفات : فإنه قال : إن  
اعتذر أبرا ، وأنشد في ذلك قوله :

فالتقينا فرحبت حين سلمت وكفنت دهما من العين ثارا  
ثم قالت عند العتاب رأينا منك عنا تجاداً وازورلوا  
قلت كلا لاه ابن عمك بل خفتنا أموراً كنا بها أغمارا  
جعلنا الصدود لما خشينا قالة للناس للهوى أستارا

ثم قال : وطلاوة الاعتذار ، وأنشد فيها قوله

أرسلت إذ رأيت بعادي الآ يقبلن بي محرشاً إن أتاه  
دون أن يسمع المقالة منا وليطعني فإن عندي رضا  
لاقطع بي فدتك نفسي عدوا لحديث على هواه افتراه  
لاقطع بي من لو رأني وإياك أسيرى ضرورة ما عناه

(١) النشيج : هو العصب بالبكاء وتردده بالصدر في غير انتخاب

(٢) يعيج : يعود إلى رشده

ولا فرق بين هذين الشعرين إلا أنه في أولهما يحدث عن نفسه  
وفي ثانيهما عن حبيبته .

وكذلك ألاحظ أن قوله ( وقلة الانتقال ، وإثبات الحجّة ، إن  
قدح أوري ، وإن اعتذر أبرا . وإن تشكّي أشجى ) كل هذه الصفات  
تؤدي إلى غرض واحد : هو استيفاء الموضوع ، وإقناع المخاطب  
فإنك تنظر إلى ما أنشده في قلة الانتقال ، فلا تجد غير ما أنشده في  
إثبات الحجّة : فكلاهما في محاوراة اللآثم ومراجعة العاذل

على أن إسباغ الكلام ، وتتميم الموضوع ، يُعدّان من الميزات  
الأولية في الشعر العربي ، فقد يتكلم الشاعر عن عدة أشياء في قصيدة  
واحدة ، وهو مع ذلك يوفي كل موضوع حقه ، ويعطي كل وصف  
قسطه . وهذا سويد ابن أبي كاهل اليشكري ، جعل قصيدته العينية  
صحيفة لتاريخه ، وشرحاً لأغراضه ، حتى ليحسب القارئ أن ليس  
في استطاعة شاعر غيره ، أن يبسط القول في مسألة واحدة بسطه فيها  
ولا أن يبلغ غرضه من شيء ما بلغ منه . فلو أن شاعراً شاء أن يصف  
عدواً حسن الظاهر سيء الباطن ، لما زاد على قوله

رُبُّ مَنْ أَنْضَجَتْ غَيْظًا قَلْبَهُ      قَدْ تَمَنَّى لِي شَرًّا لَمْ يُطَعْ  
وِيرَانِي كَالشَّجْبَا فِي حَلْقِهِ      عَسِرًا مَخْرَجَهُ مَا يُنْتَزَعُ

مُزِيدٌ يَخْطِرُ مَا لَمْ يَرِنِي      فَاذَا أَسْمَعْتَهُ صَوْتِي انْقَمَعَ <sup>(١)</sup>  
 قَدْ كَفَانِي اللَّهُ مَا فِي نَفْسِهِ      وَمَتَى مَا يَكْفُ شَيْئًا لَا يَضَعُ  
 بِنَسْمَا يُجْمَعُ أَنْ يَغْتَابَنِي      مَطْعَمٌ وَخَمٌ وَدَاءٌ يُدْرَعُ <sup>(٢)</sup>  
 لَمْ يَضِرْنِي غَيْرَ أَنْ يَحْسُدَنِي      فَهُوَ يَزُقُّوهُ مِثْلَ مَا يَزُقُّو الضُّوعَ <sup>(٣)</sup>  
 مُسْتَسِرُّ الشَّنَاءِ لَوْ يَفْقَدَنِي      لَبَدَا مِنْهُ ذُبَابٌ فَنَبَعُ <sup>(٤)</sup>  
 صَاحِبِ الْمِثْرَةِ لَا يَسَامُهَا      يُوقِدُ النَّارَ إِذَا الشَّرُّ سَطَعَ <sup>(٥)</sup>  
 ذَرَعَ الدَّاءَ وَلَمْ يُدْرِكْ بِهِ      تِرَةً فَاتَتْ وَلَا وَهْيًا رَقَعَ <sup>(٦)</sup>

وهذا من النعت الشامل ، والوصف السابع ، وهو جزء من قصيدة كثرت أغراضها ، وتشعبت فنونها . ولو كان بي أيها السادة أن أشرح لكم طريقة العرب في الوصف وسبيلهم في البيان ، لكان لي مضطرب واسع ، وميدان فسيح ، ولكنني أريد الآن أن أفهمكم فقط : أن ابن أبي ربيعة ليس أول شاعر بسط القول ، وهلّل الشعر . فليست أبياته التي يقول فيها

(١) مزيد يخطر : تشبيهه بالفحل الهائج ، يقال : ازبد الفحل إذا هدر ، وخطر بذنبه ضرب به يمينا وشمالا (٢) طعام وخم ووخيم : غير موافق — وادراع الداء كناية عن الأبتلاء به (٣) يزقو : يصيح — والضوع كصرد وعنب ذكر البوم ، أو طائر أسود كالغراب (٤) الشناء : البغض — والذباب في هذا البيت الشر (٥) المثرة : هي العداوة والنميمة (٦) الترة : التار

- خليليَّ بعضَ اللوم لا ترحلا به (١)  
 رفيقك كما حتى تقولاً على علم (١)
- خليليَّ من يكلفَ بآخر كالذي  
 كلفت به يدملُ فؤاداً على سُقم (٢)
- خامليَّ ما كانت تصاب مقاتلي  
 ولا غرتني حتى وقعت على نغم (٣)
- خليليَّ حتى لفَّ حبلي بمخادع  
 مؤقني اذا يرمي صيوداً اذا يرمي (٤)
- خليليَّ لو يُرقي خليلٌ من الهوى  
 رقيت بما يدني النوار من العصم (٥)
- خليلي ان باعدتُ لانت وان ألن  
 تباعد فلم أنبل بحرب ولا سلم (٦)

ليست هذه الأبيات — وهي التي أنشدها ذلكم المؤلف في إثبات  
 الحجّة — بشيء في جانب مقالته جليلة بنت مرة ، وقد اعتدى أخوها  
 جساس على زوجها كليب فقتله فتمتعها أخت كليب من الدخول في مآتمه .  
 فأخذت تبين لها بشائق القول ، وساحر البيان ، مصيبتها في زوجها ،  
 وهمها على أخيها ، وأنها أولى منها بالحزن ، وأجدر بالشجى . وذلك قولها

يا ابنة الأقوم ان امتِ فلا تعجلي باللوم حتى تسألي

فاذا انتِ تبينت التي عندها اللوم فأومي واعدلي

(١) لا ترحلا رفيقك باللوم : لا تؤذيها باسماء اياه . (٢) يدمل فؤاده على  
 السقم : يطويه عليه (٣) اشارة إلى أنه فتن بها لأول نظرة (٤) لف الحبل هنا  
 كناية عن الوقوع في الشرك (٥) النوار : النافرة من الظباء — والعصم جمع  
 اعصم وعصماء ، وهي التي في أذرعها بياض (٦) لم أنبل : لم أصب أو لم أحسن الرمي

إن تكن أخت امرئٍ ولِيتَ علي  
 ففعلُ جَسَّاسٍ علي وجدى بهِ  
 لو بعينٍ غيرِ عيني انفتأت  
 جلَّ عندي فعلُ جَسَّاسٍ فيا  
 ياقتيلاً خرَّب الدهر بهِ  
 هدم البيت الذي استحدثتهُ  
 ورماني قتله من كَشَبِ  
 يانسائي دونكن اليوم قد  
 خصني قتل كليب بلظي  
 ليس من يبكي ليوميه كمن  
 دَرَكُ الشائر شافيه وفي  
 اني قاتلةٌ مقتولةٌ  
 شَفَقَ منها عليه فافعل  
 قاصمٌ ظهري ومُدُنُ أجلي  
 عيني النبي إذا لم أحفلِ  
 حَسْرَتِي عما أنجات أو تنجلي  
 سقف بيتي جيمًا من عالٍ  
 وبدا في هدم بيتي الاول  
 رَمِيَةَ المصمى بهِ المستأصلِ (١)  
 خصني الدهر بأمرٍ معضلِ  
 من ورائي واطي مستقبلي  
 إنما يبكي ليومٍ بجَلِ (٢)  
 دَرَكُ الشائر قتلٌ مشكلي  
 ولعل الله أن يرتاح لي (٣)

وذلك نفسه هو القصد للحاجة : الذي جعلوه من مبتدعات ابن أبي

بيعة ممثلين بقوله :

ن كَشَب : من قرب - والمصمى هو من قولهم : أصمى الصيد إذا رماه فقتله -  
 والمستأصل من قولهم : استأصل الله شأفتهم إذا قطع دابرهم (٢) بجَل بمعنى فقط  
 (٣) ارتاح له الله : أنقذه من البلية

( ٧٧ )

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف ينتقيان  
هي شامية<sup>١</sup> إذا ما استقلت وسهيل<sup>٢</sup> إذا استقل<sup>٣</sup> يمان

\*  
\* \*

والأحظ أيضاً أيها السادة إن أكثر تلك الصفات من الأمور  
عامة: التي لا تحدّد معنى ولا ترسم طريقة . فما الذي اراده بسهولة  
لشعر ، وشدة الأسر ؟ وما الذي قصده من حسن الوصف ؟ وما الذي  
نمّاه بفتح الغزل ؟ ولقد تأملت الأمثلة التي ذكرها لتلك الصفات فإذا  
هي أكثر منها غموضاً : فقد مثل لحسن الوصف بقوله

لها من الريم عيناه ولفنته<sup>٤</sup> وغرة السابق المختال إذ سهلا

فما وجه الحسن هنا ؟ إن كان في أحرار الصفات المختلفة للموصوفات  
المختلفة ، فليس بالشيء الجديد . فلقد قال امرؤ القيس في وصف حصانه  
له أيطلا ظبي وساقا نعامة<sup>٥</sup> وإرخاء سرحان وتقريب تتفل<sup>(١)</sup>  
وإن كان لروعته وبهائه ، فما هو أيضاً بالمتدع ، وخير منه قول  
الشنفرى :

(١) الأيطل : الخاصرة - والسرحان : الذئب - والتتفل : ولد الثعلب

(٧٨)

فدقت وجات واسبكرت<sup>١</sup> وأكملت<sup>٢</sup>

فلوجن<sup>٣</sup> إنسان<sup>٤</sup> من حسن جنيت<sup>٥</sup> (١)

ومثل لفتح الغزل بقوله

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى

فكن حجراً من يابس الصخر جامدا

وهو معنى مشهور ، لا يصح أن يجعل دليلاً على نبوغ شاعر ،

على أنه ينسب للاحوص . وكذلك رأينا فيما ذكره : من تسهيله وتقويله ،

واختصاره الخبر ، ودقة معناه وصواب مصدره ، الى غير ذلك من

الأوصاف العامة والنعوت التي لم تُحدد . فلم يبق إلا أن ننظر في

الصفات التي يظن أنه ابتدع ما أفصحت عنه ، وابتكر ما دلت عليه .

\*  
\* \*

وانى قبل ذلك ألفت نظركم الى أن تلك الصفات يرجع بعضها الى

المعنى ، وبعضها الى اللفظ ، وثى لإمناها الى الأسلوب . وأريد بالمعنى هنا

الفكرة الأساسية ، التي يعد الشاعر مبدعاً لها اذا سبق بها ، كما يقولون .

(١) دقت وجات : يريد أن جسمها دقيق في الموطن الذي تستلح فيه الدقة ، وجايل

في الموضع الذي تستطاب فيه الضخامة - واسبكرت : طابت واعتدلت

أول من طرد الخيال طرفة بن العبد في قوله

فقل خيال الحنظلية ينقلب<sup>١</sup> اليهافاني وأصل<sup>٢</sup> حبل من وصل<sup>٣</sup>

وأريد باللفظ الكلمة المستعملة أول مرة في التعبير عن معنى

معروف ، كما يقولون : أول من قيد الأوابد أمرؤ القيس في قوله

وقد أغتدى والطير في وكناتها<sup>٤</sup> بمنجرد<sup>٥</sup> قيد<sup>٦</sup> الأوابد هيكلا<sup>(١)</sup>

يريدون أنه أول من عبر عن السرعة بهذا التعبير

فاما الاسلوب — وهو الطريقة المثلى في الأداء — فاني لا أريد

مناقشة المؤلف فيما يتعلق به ، فقد كان للعرب قبل ابن أبي ربيعة بأجيال

أسلوب سام<sup>٧</sup> بديع ، مازال الناس يقتفون فيه أثرهم ، ويترسمون خطاهم .

على أن أكثر ما يتعلق بذلك من تلك الصفات منتقد مزيف . وقد

أشرنا الى شيء منه في الملاحظات السالفة ، فليتنامله الراغب في الفهم ،

والجائح للبيان .

فمن الصفات المعنوية عفة المقال التي مثل لها بقوله

طال ليلى واعتادنى اليوم سقم<sup>٨</sup> وأصابت مقاتل القلب نعم<sup>٩</sup>

حرّة الوجه والشمائل والجوهر تكليمها لمن نال غنم<sup>١٠</sup>

(١) الوكنات جمع وكنة وهي عش الطائر — والمنجرد التصير الشعر — والأوابد:

الوحوش — والهيكلا: الفرس الطويل

وحدِيثُ بِمِثْلِهِ تُنَزَلُ الْعَصْمُ رَخِيمٌ يَشُوبُ ذَلِكَ حِلْمٌ  
هَكَذَا وَصَفُ مَا بَدَأَ مِنْهَا لَيْسَ لِي بِالَّذِي تَغَيَّبَ عِلْمُ  
إِنْ تَجُودِي أَوْ تَبْخَلِي فَبِحَمْدِي لَسْتُ يَا نَعْمُ فِيهِمَا مِنْ يَدْمُ  
وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ خَيْرِ مَا يُوَصَفُ بِهِ الشَّعْرُ فِي الْحُبِّ ، وَتَنَعْتُ بِهِ أَحَادِيثَ  
الصَّبَابَةِ ، لَوْلَا أَنَا لَأَعْدَهُ حَسَنَةً لِلشَّاعِرِ وَلَا مَنَقِبَةً لِلْمُحِبِّ ، مَا لَمْ يَكُنْ  
مِنْ خَوَاصِهِ ، وَمَا لَا يَعْدُلُ عَنْهُ ، فَكَيْفَ وَابْنُ أَبِي رَبِيعَةَ مَتَهَتَكَ فِي شَعْرِهِ ،  
مَتَطَرَفٌ فِي نَسِيبِهِ ؟

عَلَى أَنْ هَذَا الشَّعْرُ وَإِنْ دَلَّ عَلَى عَفْةِ الْمُحِبِّ فَانْهَ لَا يَدُلُّ عَلَى إِغْرَابِ  
الْمُحِبُّوبِ فِي الصِّيَانَةِ ، وَإِيمَانِهِ فِي التَّمَنُّعِ ، وَخَيْرٌ مِنْهُ قَوْلُ الشَّنْفَرِيِّ فِي  
ظِيئَةِ تَسْكُنِ إِلَى أُمِّهَا ، وَتَنْفَرُ مِنْ مَحَبِّهَا  
لَقَدْ اعْجَبْتَنِي لِاسْقُوطِ قَنَاعِهَا إِذَا مَا مَشَتْ وَلَا بِذَاتِ تَلْفَتٍ  
تَحُلُّ بِمَنْجَاةٍ مِنَ اللَّوْمِ بَيْتِهَا إِذَا مَا يَبُوتُ بِالْمَلَامَةِ حُلَّتْ  
كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نِسِيًّا تَقْصُهُ عَلَى أُمِّهَا وَإِنْ تَكَلَّمْتَ تَبَلَّتْ (١)  
وَمَا زَالَ الْعَرَبُ يَفْتَخِرُونَ بِالْعَفْةِ ، وَيَتَمَدَّحُونَ بِالصِّيَانَةِ ، فَكَيْفَ  
يَكُونُ ابْنُ أَبِي رَبِيعَةَ مَبْتَدَعًا لِلْعَفْةِ فِي الْمَقَالِ ، وَقَدْ عَرَفْتَ مِنْ قَبْلِهِ  
فِي الْفَعَالِ ؟

(١) النَّسِيُّ بِالْكَسْرِ وَيَفْتَحُ مَا نَسِيَ وَمَا تَلْقِيهِ الْمَرَأَةُ مِنْ خَرَقٍ اعْتَلَاهَا. وَتَبَلَّتْ وَتَبَلَّتْ  
تَنْقَطِعُ . وَالْمَعْنَى أَنَّهَا تَسْكُنُ إِلَى أُمِّهَا فَتَطِيلُ الْكَلَامَ فَإِذَا كَلَّمَهَا رَجُلٌ غَلَبَهَا الْحَيَاءُ فَسَكَتَتْ

ومما ابتدعه أيضاً في زعمهم عطف المساءة على العذال في قوله  
 لاتامنى عتيق حسبي الذي بي إن بي ياعتيق ماقد كفاني  
 لاتامنى وأنت زينتها لي أنت مثلُ الشيطان للانسان  
 وهو خطأ في الفهم ، فان هذا معنى أوجده حادثة خاصة ، وليس  
 كل عاذل بقواد ، حتى يكون المعنى شاملاً لكل لأم وعاذراً لكل ملوم ،  
 وقد وجد في كتاب الله من قبل ، فلا سبيل لعهده من المبتكرات ،  
 ولا لجعل صاحبه من المبدعين

\* \* \*

ثم قال : ومن إقدامه عن خبرة ولم يعتذر بغرة قوله  
 صرمت وواصلت حتى عرفتُ أين المصادر والوردُ  
 وجربت من ذاك حتى عرفت ما أتوقى وما أعمد  
 على أن وصل الغائيات ، والحظوة لديهن ، قد لا يحتاج إلى قسط  
 أوفر من الدهاء ، ونصيب أكبر من السياسة ، حتى يفخر الشاعر  
 بالفوز فيه والظفر به ، إنما يكبر المرء في عين النساء بفجولته ، وبشبابه  
 النضير ، وغصنه الرطيب ، وما منجته الطبيعة من دياجة شرقية ومجنا

وسيم . فأما اللوام والعذال والوشاة ، فهم أهون الناس عليه . وأصغرهم  
 لديه ، إن نال من حبه الكرامة ، وحل في قلبه الشفيق  
 ولعل البها زهير قلده في هذا المعنى : إذ جعل القواد الخنثين  
 أشباهها لسفراء الدول حين يقول :

فيا رسولى إلى من لا أبوح به إن المهيات فيها يُعرف الرجلُ  
 والمعنى أصله للنايعة في مدح نبي غسان ، وقد وضعه في موضعه  
 وأقره في نصابه ، وذلك قوله (١)

ولا يحسبون الخير لاشر بعده ولا يحسبون الشرّ ضربة لازب  
 إذ كانوا لا يغفلون عن حراسة الخير ، ولا يفشرون في  
 مدافعة الشر

ثم قال : ومن تحذيره قوله

لقد أرسلت جاريتى وقالت لها خذى حذرك  
 وقولى فى ملاطفة لزينب نوى عمرك  
 فان داويت ذا سقم فأخزى الله من كفرك  
 فهزّت رأسها عجباً وقالت من بدأ أمرك  
 أهذا سحرك النسوان قد خبرنى خبرك

وقلن إذا قضى وطراً وأدرك حاجة هجرك  
ولست أرى في هذا الشعر ما ينبغي عن ابتداء ، أو يدل على  
اختراع ، فإن تحذير الرسول من الأمور الفطرية التي تخطر ببال أحدث  
الناس عهداً بالحب ، وأقلامهم علماء بما يجنى الوشاة

على أن ذلك قد يكون من عيوب تلك القواداة التي كان ينبغي  
أن لا تحتاج إلى تحذير ، فما يصح أن تكون جارية ابن أبي ربيعة غرة  
بلهاء ، يدرك الناس ما تسعى له ، فيعرفون من تمشى إليه ، أو تخطيء  
فهم ما أرسلت به ، فتخفق فيما سمت له

فأين كانت ، لاعفاً الله عنها ، تلك المعجوز الشمطاء ، والداهية  
الشعواء ، التي كان يرساها ابن أبي ربيعة إلى الأطباء النوافر ،  
والحسان الغرائر ، فتسمعون من حلو الحديث ومروءة ، وصعب  
الكلام وسهله ، ما يجعلن إلى الفسق أميل ، ومن الفحش أقرب :  
فيصبحن خليعات فاجرات ، بعد أن كنَّ عفيفات طاهرات ؛ !

أين كانت - لا كانت - تلك التي يقول فيها  
وأنتها طيبةٌ عالمةٌ تمزج الجِدَّ مراراً باللعب<sup>(١)</sup>

تُغَلِّظُ . البقول إذا لانت لها  
وتُراخى عند سَوَدَات الغضب  
لم تزل تصرفها عن رأيها وتأنأها برفق وأدب<sup>(١)</sup>  
تلك التي ودة الناس لو أتاحت لهم الأقدار خليفة في عقالها ، أو  
أميراً في رأيها ، والتي طلب الوليد من حماد أن يسمعه بتأنها ، ويدركه  
بشبهها ، حتى تعطف سلمي عليه ، وتردها اليه  
ذلك ما أجاد ابن أبي ربيعة في وصف الرسل . فاما ( التحذير ) الذي  
عناه المؤلف ، فهو ضرب من الخطأ ، أو نوع من الفضول

\* \*

ثم قال : ومن قناعته بالرجاء من الوفاء قوله  
فِعْدَى نَائِلًا وَإِنْ لَمْ تُتَيْلَى أَنَّهُ يَنْفَعُ الْمَحَبَّ الرَّجَاءُ  
وقد علمت مما أسلفناه أن ابن أبي ربيعة لم يكن ممن يرضى في  
جنبه باليسير من الوصل ، والقليل من القرب ، حتى تعدد من ميزاته  
القناعة ، ومن خصائصه العفاف  
وأين هذا البيت في حسنه من قول جميل :

(١) تأنأها يحذف إحدى تاءيه : تمهل عنها

وإني لراضٍ من بثينةَ بالذي      لو أبصره الواشى لقرت بلا به  
 بلا وبأن لا أستطيع وبالمى      وبالأمل المرجو قد خاب آمله  
 وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى

أواخره      لا نلتقى وأوائله

ولا تحسبوا أيها السادة أن هناك فرقاً بين الشعرين في المعنى  
 حتى تستبعدوا المقارنة . فإن المؤلف — فيما أظن — لم يشأ إلا  
 التنويه بقناعة الشاعر ، والتغنى بعفافه ، بدليل قوله بعد ذلك : هذا  
 أحسن من قول كثير :

ولست براضٍ من خليل بنائل      قليل ولا أرضى له بتقليل  
 وقد شاء أن يخطيء في الآخرة والأولى : فإن ابن أبي ربيعة  
 يتكلم عن محبوبه ، وكثير يتكلم عن خليله ، وقد يرضى المرء بظلم حبيبه  
 ولا يرضى بجور صديقه ، فقد يصدف الحبيب دلالة ، ويعرض  
 الصديق ملالة ، والصبُّ عن حبه صفوح ، وربما نُوقِش الصديق  
 فأما ما أسدل ابن أبي ربيعة من الحُمل الجديدة الفاخرة ، على  
 المعاني القديمة الباهرة ، وما تندّر به من التراكيب الطريفة المخترعة ،  
 والتعابير الحديثة المبتدعة ، فإنا نرحم الأدب من أن يُعجب بها كاتب  
 فيزين بها نثره ، أو يخذع بها شاعر فيجمل بها شعره ، إذ كانت

في جئاتها من الاستعارات الفاسدة ، والمجازات المردودة . مما يذو عنه  
الطبع ، ويمجه الذوق السليم . فما حسن إنكاح النوم في قوله :

حتى إذا ما الليلُ جنَّ ظلامهُ      ونظرت غنائة كاشح أن يعقلا  
واستنكح النومُ الذين نخافهم      وسقى الكرى بؤابهم فاستثقبلا

خرجت تأطر في الثياب كأنها      أيمُ يسيب على كثيب أهيلاً<sup>(١)</sup>  
و على أي وجه تجرى هذه الاستعارة . ومن أي سبيل يجوز

هذا المجاز ؟ إن هذا إلا اختلاق ،

ولست أدري لهم لِمَ يفتن الكاتب أيضا بما أبدع ابن أبي ربيعة :  
من تشبيه الحسنة وهي تتثنى ، بالحية وهي تتاوى ، فهو أيضاً  
تعبير مخترع ، وتشبيه مبتدع ، لا يقل عن إنكاح النوم في السهاجة ،  
ولا ينقص في الفضول ؟

وانهم ليعجبون أيضاً بقوله :

في خلاء من الأئيس وأمنٍ      فشفينا غليانا واشتفينا  
وضربنا الحديث ظهراً لبطن      وأتينا من أمرنا ما اشتهينا  
فكثنا بذلك عشر ليالٍ      فقضينا ديوننا واقتضينا

(١) تأطر أصله تتأطر حذف إحدى تاءيه ، والتأطر : التتى - والاييم : الأفعى .  
ويسيب : يمشى - والكثيب الأهيل : الرمل المنهال

وذلك أنهم يزعمون أنه أول من ضرب الحديث ظهراً لبطن  
من غير أن يبينوا ما يُراد بذلك البدع الجديد !  
ويستجيدون أيضاً قوله

حبكم يا آل ليلى قاتلي      ظهر الحبُّ بجسمى وبطنى  
ليس حبٌ فوق ما أحببتكم      غير أن أقتل نفسى أو أجنى  
وهو من الخطأ فى التعبير ، فإن الحب حين تبدو علامته من الأرق  
والسهاد ، والنحول والذبول ، لا يقال عنه بطن وظهر ، إنما يقال : ظهر  
منه ما كان خفياً ، وبدا ما كان مستوراً . وقد يستبعدون أن يكون  
الأسى الظاهر ، تمثالا للجوى الباطن ، كأن ما يبدو بالجسم من مشحوب  
وبالوجه من لغوب ، إنما هو شَرْدٌ تطاير من لهيب القلب ، وسعير الفؤاد  
وإن تعجب فعجبٌ قوله

ليس حب فوق ما أحببتكم      غير أن أقتل نفسى أو أجنى  
كأن لم يقتل الحب من أحد ، ولم يُصرع به إنسان !

\* \* \*

وإني أيها السادة — على ما أعربت فى نقد ذاكم المؤلف — أرى  
من الانصاف أن أعزز رأيه فى كلمة اختارها فى طلاوة الاعتذار ،  
وأخرى فى تحيير ماء الشباب ، وثالثة فى صدق الصفاء

فأما الأولى فهي قوله

عاود القلبَ بعضُ ما قد شجَاهُ      من حبيب أمسى هوانا هواءُ  
أرسلت إذ رأيتُ بعمادى الأَّ      يقبلنُ بي محرَّشا إن أتاه (١)  
دون أن يسمع المقالة منا      وليطعنني فإن عندي رضاء  
لا تطع بي فدتك نفسى عدواً      لحديثٍ على هواه افتراء  
لا تطع بي من لو رآنى وإيا      لك أسيرى ضرورة ما عناه  
ما ضرارى نفسى بهجران من ليد      س مسيئاً ولا بعيداً ثراه (٢)  
واجتنابى بيت الحبيب وما الخ      لمد بأشهى إلى من أن أراه

والحق أقول : : إن إعجابى بهذه الأبيات ، ليس لما فيها من طلاوة  
الاعتذار — كما ذكر ذلك المؤلف — بل لما فيها من الجرأة فى الخروج  
على الوشاة . ومن ذا الذى يقرأ قوله

لا تطع بي من لو رآنى وإيا      لك أسيرى ضرورة ما عناه

ثم لا يعطي العدو أذناً غير واعية ، وفؤاداً غير أوتاب ؟

أم من ذا الذى يسمع قوله

ما ضرارى نفسى بهجران من ليد      س مسيئاً ولا بعيداً ثراه

واجتنابى بيت الحبيب وما الخ      لمد بأشهى إلى من أن أراه

ثم لا يطير إلى حبيبه ، لينعم بجماله ، ويظفر بوصاله ؟  
وأما الكلمة الثانية فهي قوله

أبرزوها مثل المهاة تهادى      بين خمس كواعب أتراب  
وهي مكنونة تحير منها      في أديم الخدين ماء الشباب  
ثم قالوا تحبها ؟ قلت بهرا      عدد الرمل والحصى والتراب

ووجه الحسن في تحيير ماء الشباب ، أنك تنظر إلى الخدود الموردة  
فترأها كالشفق تنتقل من تحته الشمس ، أو كالشكاة يتموج في قلبها  
المصباح .

في سبيل الحب تلك النظرة ! يوم رأته وقد أبل من محمي  
أضرعته ، فرأيت ماء الشباب يدب في تلك الخدود وهي صفراء  
كالورس ، فيعيدها حمراء كالورد ، وإذا بالأنس يتمشى في فؤادي  
لشفائه ، تمشى البرء في أعضائه (١)

وأما الثالثة فهي قوله

أحبك لحبك من لم يكن      صفيًا لنفسي ولا صاحبًا  
وأبذل مالي لمرضاتكم      وأعتب من جاءكم عاتبًا  
وأرغب عن ود من لم أكن      إلى وده قبلكم راغبًا

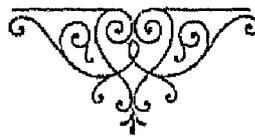
(١) تتصل هذه الفقرة إلى هذا الحديث بسبب ضعيف ، وذكرها هنا ضلال مبين

(٩٠)

ولو سلك الناس في جانب من الأرض واعتزلت جانبا  
ليمتُّ طيتها إني أرى قربها العجب العاجبا<sup>(١)</sup>

\*  
\*\*

وجملة القول : أن ما نسب إلى ابن أبي ربيعة من المعاني المبتكرة  
والألفاظ المبتدعة ، على ما فيه من وهن ، وما به من دخل ، لا يفصح  
عن منهج في الشعر غير مألوف ، أو سبيل غير معروف  
فما طريقة الجديد ، أو منهجه الحديث ؟



(١) يمت طيتها : قصدت ناحيتها